

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

بَيْنَ لَنَا رَبُّنَا تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَنَّ أُمَّهَ وَطَائِفَ الْبَشَرِ هُوَ الْإِيمَانُ بِخَالِقِهِ مِنَ الْعَدَمِ، وَعِبَادَتُهُ، وَكَدَّ ذَلِكَ نَبِيَّهُ الْكَرِيمُ بِسُنَّتِهِ الْمُطَهَّرَةِ. وَيَأْتِي بَعْدَهُ كَثَاثِي الْوَطَائِفِ الْأَسَاسِيَّةِ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِذَلِكَ فِي عِدَّةٍ مِنَ الْآيَاتِ مُبَاشَرَةً بَعْدَ ذِكْرِ الْأَمْرِ بِعِبَادَتِهِ. يُعَبِّرُ عَنْهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفًّا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾¹

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرَامَ،

نَرَى نَفْسَ الْأَسْلُوبِ فِي السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ. فَرُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُتْبِعُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» قُلْنَا: «بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.» قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»² فَكَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَا تَلَوْنَا وَرَسُولُهُ فِي مَا رَوَيْنَا مَفْهُومَ الرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ. وَهِيَ تَحْمِلُ مَعْنَى الدُّخُولِ فِي دَوْرِ التَّقَدُّمِ فِي السَّنِّ وَنَوْعٍ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الطُّفُولَةِ وَتَرْقِيقِ الْقُلُوبِ. فَلِذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُدْرِكَ مَعْنَى الرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ. فَلَا بُدَّ مِنْهُ لِلْوَفَاءِ بِوِظَيفَتِنَا إِذَا حَانَ الْوَقْتُ.

أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ الْعَزِيزَةُ،

إِنَّ مَفْهُومَ الرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ يَفْتَضِي مُعَامَلَةَ وَالِدَيْنَا بِالشَّفَقَةِ وَالرَّقَّةِ وَالظَّرَافَةِ، وَعَدَمَ عَصِيَانِهِمْ وَإِسَاءَتِهِمْ وَإِذَاءِهِمْ. وَالْإِحْسَانُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِتَبَنِّي الْبِرِّ كَقَاعِدَةِ كَلِيَّةٍ. وَالْبِرُّ هُوَ الْعَمَلُ بِمَا يُطَلَّبُ مِنَّا فِي وَقْتِهِ وَمَكَانِهِ وَبِالْكَفِيَّةِ الْمَطْلُوبَةِ مُخْلِصًا بِالْقَلْبِ بِلَا مَكَلٍ. فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْأَبْرَارِ عِنْدَ اللَّهِ فَعَلَيْنَا بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِ وَالِدَيْنَا. فَإِنَّ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ تَرَجَّمَانَ الْقُرْآنِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) فَسَّرَ الْآيَةَ الْمَتَلَوَّةَ بِقَوْلِهِ: "فَمَنْ شَكَرَ اللَّهَ وَلَمْ يَشْكُرْ وَالِدَيْهِ، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ"

إِخْوَتِي الْقِيَمُونَ،

فَلْنَحْسِنِ إِلَى وَالِدَيْنَا بِدِقَّةٍ وَرِقَّةٍ وَلِنُرْضِيهِمْ وَلَا نُنْسِيهِمْ. فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَجُلًا قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَيَّ وَكَلِدِهِمَا؟" قَالَ: «هُمَا جَنَّتُكَ وَتَارُكَ»³ فَلِنَتَّقِ اللَّهَ فِي وَالِدَيْنَا وَلَا نَعْمَلُ بِمَا لَا يُرْضِيهِمْ. فَإِنَّا إِذَا عَمَلْنَا مِثْلَ هَذَا فَقَدْ نَبَعَدُ عَنْ رِضَا اللَّهِ. فَاسْمَعُوا: كَيْفَ نَبَّهَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ عَلَى أَهْمِيَّةِ الْمَوْضُوعِ، فَقَالَ: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»⁴ فَمَا أَسْعَدَ مَنْ لَقِيَ رَبَّهُ وَوَالِدَاهُ رَاضِيَانِ عَنْهُ!



³ سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، ١، رقم الحديث (٣٦٦٢)
⁴ جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، ٣، رقم الحديث (١٨٩٩)

¹ سورة الإسراء: ٢٥-٢٣
² صحيح البخاري، كتاب الأدب، ٦، رقم الحديث (٥٩٧٦)